جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد 5. السنة 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الشيخ مبارك الميلي وعنايته بالحديث النبوي وعلومه

Sheikh Mubarak Al-Mili and his interest in the Prophet's hadith and its sciences

د. سمير فجخي[1]

Fedjkhisamir4@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/02/22 تاريخ القبول:2024/06/23 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 22/02/2024 Accepted: 23/06/2024 published: 15/09/2024

الملخص:

يحاولُ هذا المقالُ الكَشفَ عن عنايةِ الشيخ مبارك الميليّ بالحديث النبوي وعلومه، وذلك من خلال ما جُمِعَ من مقالاتِهِ التي نُشرَت في مجَلّاتٍ مختلفةٍ، وقد طُبِعَت بعنوان "آثار الشيخ مبارك الميلي"، وقد تمثلت هذه العناية في حثّه على الاشتغال بالحديث النبوي وحرصه على الاستدلال به، وشرحه لبعضِ الأحاديث النبوية في دروسِهِ الوعظيّةِ، وكذلك تخريجُه للأحاديثِ وبيانُ درجتها، وإشارتُه إلى بعضِ المسائل الحديثية الهامّةِ.

وقد تبيّن من خلال هذا البحث الموجز أنّ الشيخ الميلي قد اتخذ من الحديث النبوي ركيزة من ركائز دعوته الإصلاحية، ما جعله يُولِيه عنايةً كبيرةً حثًّا وشرحًا وتخريجًا وما يتعلق بهِ من علومٍ.

الكلمات المفتاحية: الآثار، الميلي، الحديث، النبوي.

Abstract

This article attempts to reveal sheikh Mubarak al- mili interest in the correct hadith and its sciences, through what was collected from his articles that were published in various stores and were printed under the title The works of sheikh Mubarak Al- Mili, this care was represented in his decision to work with the Prophet's hadith and his keenness to draw evidence from it, some of his explanation of their degree and his reference to some important hadith's issues.

It has become clear from his brief research that Sheikh Al- Mili took the Prophet's Hadith as one of the pillars for his reformist call which made him pay great attention with tenderness and explanation and the related sciences.

Keywords: The works, Al- Mili, al- hadith, Prophetic.

[1] - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

مقدمة:

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ، والصّلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينَا محمّدِ بنِ عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ.

أما بعد:

يُعدّ العلامة مبارك الميليّ أحدَ أقطابِ الإصلاح في الجزائر، وهو أحدُ أعلامِ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وأبرزُ أعضائِهَا المصلحين، المشهود لهم بغزارة العلم، ومتانة الدين، وسداد الرأي، وقوة الإرادة والعزيمة، وقد خلّف رحمه الله جملة من المقالاتِ العلمية الرائعة التي نشرها في الجرائد كالشهاب وغيرها، جمعها بعض المشايخ الفضلاء في كتابٍ سمّاه بـ: "آثار الشيخ مبارك الميلي" على غرار "آثار ابن باديس"، و"آثار الإبراهيميّ"، وقد لفتَ انتباهي وأنا أقلب النظر في آثار الميلي عنايتُه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإشارتُه إلى بعضِ المسائل الحديثية الهامة.

فأردتُ من خلال هذه الورقات التعريفَ بالشيخِ مبارك الميليّ وآثارِه، وإبرازُ عنايته بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصِه على حفظِ السنة ونشرها صافيةً نقيةً – من خلال آثاره التي طبعت حديثًا– هذا فيما يتعلق بأهدافِ هذا البحث.

أما الإشكالية التي عالجها هذا البحثُ فيُمكنُ حصرُهَا فيما يلي: ما هي مجالات توظيفه للحديث النبويّ؟ ما هي أهم المصادر التي كان يعزو إليها ويعتمد عليها في درسِهِ ووعظِهِ، وفي استدلالِهِ وفتاويه؟ ما مدى عنايته بتخريج الأحاديث وعزوها وبيان درجتها؟

أما فيما يتعلق بالدراساتِ السابقة؛ فقد وقفتُ على دراساتٍ تناولت عناية الشيخ الميلي بالحديث النبوي في بعض جوانبه، أو بعضِ كتبِ الشيخ كرسالةِ الشرك ومظاهره، وأذكر منها: "جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة الحديث الشريف وإحياء السنة" (طبعة دار الوعي سنة 2012م) من تأليف الدكتورة عقيلة حسين، تناولت فيه عناية الميلي بالسنة وتخريجها وبيانِ درجتها، كذلك من الدراسات: مقالتان علميتان قُدّمتا لملتقى الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية المسلمين الجزائريين –الجهود والمناهج والاتجاهات–، في شهر فيفري 2024م، فالمقالة الأولى بعنوان: "منهج العلامة مبارك الميلي في توظيف وشرح الأحاديث النبوية في كتابه رسالة الشرك ومظاهره" للدكتور ياسين بن عمراوي، والمقالة الأخرى بعنوان: "فقه الحديث عند الشيخ مبارك الميليّ" للدكتور حمزة بوروبة.

أما بحثي هذا فهو أوسع من الدراسات المتقدمة من جهة أنه تناول تلك الجوانب المذكورة مع جوانب أخرى ظهرت لي من خلال قراءتي لآثاره؛ كوعظِهِ بشرحِ بعضِ الأحاديث النبوية، وإشارته إلى بعضِ المباحث الحديثية الهامة، ودقتِهِ في التخريجِ والعزوِ، وذلك كما قلتُ من خلال آثاره المطبوعة مؤخرا، ولم أتطرق إلى مصنفاته الأخرى كالشرك ومظاهره وتاريخه.

وقد قسّمتُ بحثي إلى مقدمةٍ ومبحثين؛ في المبحثِ الأول تناولتُ ترجمةَ الميليّ باختصارٍ، والمبحث الثاني تحدثتُ فيه عن عنايته بالحديث النبوي وعلومه –وهو صلبُ البحثِ–، وختمتُ بخاتمةٍ ذكرتُ فيها أهمّ النتائجِ والتّوصياتِ.

المبحث الأولُ: ترجمة الشيخ مبارك الميليّ رحمه الله[1].

حظي الشيخ مبارك الميلي رحمه الله كغيره من أئمّة العلمِ والإصلاح بالعناية بترجمتِه وسيرته في كتبِ التراجمِ وغيرها، وسأتناول في هذا المبحثِ أهمّ محطّاتِ حياته، بدْءًا من مولده ونسبه، ومرورًا بسيرته العلميّة والدعويّة، وأختم بالحديثِ عن وفاته وما خلّفه من آثارٍ.

2. 1. المطلبُ الأولُ: نسبه ومولده.

هو مباركُ بنُ محمّدِ بنِ رابحٍ، الهلاليّ، الميليّ، الجزائريّ، ولقب أسرته (براهيمي)، والهلالي نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية التي نزحت إلى شمال إفريقيا أواسط القرن الخامس الهجريّ، والميلي نسبة إلى مدينة ميلة إحدى مدنِ الشّرقِ الجزائريّ.

وُلِدَ الميليّ بتاريخِ 23 ماي 1896م في دوّار أولاد مبارك من قُرَى الميليةِ، وهي قرية حدثت في العهد الفرنسيّ، وهي منسوبة إلى ميلة؛ لأن موضعها كان ينزله فرسان بورنان بن عزّ الدين من ناحية ميلة فنُسبت البقعة إليهم كما ذكر المترجَمُ له[2]، وقد توفّي والده وهو في سن الرابعة، وبُعَيْد وفاة والده توفيت أمّه تركيةُ بنتُ أحمدَ بنِ فرحَات حَمرُوش، فنشأ يتيم الأبوين، وكفله جدّه رابح – وقد كان من أعيان القرية البارزين–، ثم بعد وفاة جدّه كفله عمّاه علّاوة وأحمد.

2. 2. المطلب الثاني: سيرته العلمية.

انتقل مبارك إلى ميلة – التي كان ينزح إليها كثيرٌ من أبناءِ جبالِ الميلية– فحفظ القرآن وختمه على يد شيخه أحمد بن الطاهر مزهود في جامع سيدي عزّوز، ثم أخذ المبادئ الأولى للعلوم الشرعية والعربية على الشيخِ محمّدِ بنِ معنصر الشهير بالميليّ.

وبعدها انتقل إلى قسنطينة للأخذ من الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله بجامع الأخضر، فكان من أبرز تلاميذه والمنتفعين به والعاملين معه، ومنه تلقى الأفكارَ الإصلاحيةَ.

ثم سافر إلى جامع الزيتونة بتونس، فأخذ عن خيرة علمائِها أمثال الشيخ محمد النخلي القيروانيّ، والشيخ محمد الصادق النّيفر، والشيخ محمد الطّاهر بن عاشور، والشيخ بلّحسن النّجّار وغيرهم، مكث فيها ثلاث سنوات حتى تحصّل على شهادة التطويع

---

(1) – صغتُ ترجمته ولخصتها من مجموعة مصادر ترجمت له وهي: "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله (409/7)، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط 1، سنة 1998م، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض (ص325)، مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت، ط 2، سنة 1400هـ–1980م، و"صراع بين السنة والبدعة" لأحمد حمّاني (2/14–20)، دار البعث – قسنطينة، ط 1، سنة 1405هـ–1984م، ومقدمة تحقيق "رسالة الشرك ومظاهره" لأبي عبد الرحمن محمود (ص13–26)، دار الراية – السعودية، ط 1، سنة 1422هـ–2001م.

وقد كتب ابنه الأستاذ محمد الميلي ترجمة خاصة لأبيه سمّاها: "**الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني**".

(2) – ينظر: "آثار الشيخ مبارك الميلي" (410/1)، دار الرشيد – الجزائر، ط1، سنة 1436هـ–2015م، جمعها ورتّبها أبو عبد الرحمن الجزائري.

وذكر الشيخ أحمد حماني في كتابه "صراع بين السنة والبدعة" (ص14): أنّ الميلية تنسبُ إلى أهل ميلة؛ لأن ميلة كانت مقرّا لحكم تلك الجهات أثناء العصور الخوالي، فإذا جاء أعوان السلطة من أهل ميلة للاتصال بالشعب هناك عسكروا بذلك المكان ونزلوا فيه، فسمّي بالميلية، قال: ((بهذا حدّثني الشيخ مبارك رحمه الله أيام العمل معه في "البصائر" عام 1938م)).

(العالِميّة) سنة 1924م.

2. 3. المطلب الثالث: سيرته الدعوية.

فَوْرَ رجوعِهِ من تونس كُلّفَ بالتعليمِ والإدارةِ للمكتبِ العربيّ بقسنطينة – وهو الأصل الأول لمدرسة التربية والتعليم– سنة 1925م، وكان مقرُّ المكتَبِ بمسجدِ سيدي بومعزة، ولما كان بقسنطينة أُسّسَتْ جريدتي "المنتقد"، ثم "الشهاب" فتولّى عبء التحرير فيهما وإنشاء المقالاتِ التي كان لها دويٌّ كبيٌر، تارة بإمضائه الصريح، وأخرى بإمضاء (بيضاوي)، وثالثة دون إمضاءٍ.

وفي سنة 1927م انتقل إلى الأغواط بدعوةٍ من أهلها، واستُقْبِلَ فيهَا استقبالًا عظيمًا، وأسّس فيها "مدرسة الشبيبة" جمع عليها سراة المدينة وأبناء الشعبِ، وكوّن تلاميذَ نجباء من أحسنِ من تفخر بهم الجزائر، منهم الشيخ أحمد الشطّة، والشيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطيّ، والشيخ أحمد قبيصة رحمة الله عليهم.

وعندما كان الشيخ مبارك في الأغواطِ اشتدت الدعوة لتأسيسِ "جمعية العلماء"، وتكونت بالفعل إثرَ احتفال فرنسَا بمرور مائة سنةٍ على احتلالِ الجزائر سنة 1931م، فانتُخِبَ عُضْوًا في مجلسِ إدارتِهَا وأمينًا لماليّتِهَا.

بعدما قضى في الأغواطِ سبعَ سنواتٍ في إدارة المكتب العربي بها، عاد إلى ميلة ليكون قريبًا من شيخِهِ وأستاذِهِ ابنِ باديس، وأخذَ يُكثرُ الاجتماعَ بِهِ واللقاءَ معه ويعينُهُ في أعمالِهِ.

وفي ميلة أسّسَ مدرسةَ "الحياةِ" التي أشرف على التعليمِ فيها، وأنشأ مسجدًا جامعًا تولى الخطابة والتدريس فيه، و"نادي الإصلاح" الذي يحاضر فيه، وكان يوالي رحلاته إلى تلك الجهاتِ، وخصوصًا الميلية ودائرتها، والطاهير ودائرتها.

ثم أسندت إليه رئاسة تحرير جريدة "البصائر" لسان حال "جمعية العلماء المسلمين" بعد أن تخلى عنها الشيخ الطيب العقبي فاضطلع بالمهمّةِ، وتخلى عن أمانة المال للجمعية، ودخلت "البصائر" في عهدٍ جديدٍ من حياتها، أخذَ ابنُ بَادِيس يكتبُ غالبًا افتتاحيتها، حتى تقرر إيقافها إثر إعلانِ الحرب العالمية الثانية سنة 1939م.

ولما توفي الشيخُ ابنُ باديس رحمه الله في 16 أفريل 1940م كان نائبُ رئيس الجمعية الشيخ محمد البشير الإبراهيميّ رحمه الله ما يزال منفيّا في مدينة آفلو، فأشرف الشيخ مبارك على الدراسة العلمية للطلبة حتى نهاية السنة الدراسية، غير أنّ صحته لم تكن تساعده على الاستمرار في مثل هذه المسؤولية، فتقرر أن تُسْنَدَ لأخِيهِ وزميلِهِ الشيخ العربي التبسيّ رحمه الله، فانتقل مقرّ الدراسة إلى تبسة حتى سنة 1946م.

2. 4. المطلب الرابع: آثاره.

ترك الشيخُ مبارك كتابينِ نافعينِ ومجموعةً رائعَةً منَ المقَالَاتِ:

1- الكتاب الأول هو: **"تاريخ الجزائر في القديم والحديث"**[1] وهو في جزءَينِ، كتبه حينما كان بالأغواطِ، وتوقف عند ابتداء الدور العثمانيّ، وقد أثنى على كتابه جمعٌ من أهل العلمِ منهم أميرُ البيان شكيب أرسلان حيث قال: ((وأمّا "تاريخ الجزائر" فواللهِ ما كنتُ أظنّ في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبتُ به كثيرًا...))[2]، وقال عنه شيخُه ابنُ باديسَ: ((لو سمّيتهُ "حياة الجزائر" لكان بذلك خليقًا؛ فهو أول كتابٍ صوّر الجزائر في لغةِ الضاد صورة تامّةً سويةً ... إذا كان من أحيى نفسًا فكأنما أحيى الناسَ جميعًا، فكيف بمن أحي أمّةً ؟))[3]، يقصد أنه بكتابه هذا أحيى أمّةَ الجزائرِ.

2- أما الكتاب الثاني فهو: **"رسالة الشرك ومظاهره"**[4]، وهو في الأصلِ سلسلَةُ مقالَاتٍ بهذا العنوان نُشِرت في جريدة "البصائر" في عهدها الأول، وطالت بطولِ الموضوع، فاقترح عليه كثيرٌ منَ القراءِ أن يجمعها في كتابٍ، فاستجاب لذلك فأخرج كتابًا له قيمته العلمية، واعترف به العلماء واتخذوه مصدرا يؤخذ منه ويعوّلُ عليه في الثانوياتِ والجامعاتِ العلميّةِ بالجزائر وتونس وغيرهما.

3- مجموعة من المقالات العلمية القيّمة في بعضِ الجرائد كـ "المنتقد"، و"الشهاب"، و"السنة"، و"الصراط"، و"البصائر"، و"المنهل"، و"البرق"، و"الإصلاح"، قال الشيخ أحمد حمّاني رحمه الله: ((لو جُمِعَتْ كلّهَا لكانت سَفْرًا جَليلا))، وقد تحقّقت أمنيّةُ الشيخِ حمّاني على يد الأستاذ أبي عبد الرحمن محمود الجزائريّ فجَمَعَ مقالاته وطُبِعَت في ثلاثةِ أجزاء سنةَ 1436هـ-2015م، بعنوان: **"آثار الشيخ مبارك الميليّ"**[5].

2. 5. المطلب الخامس: وفاته.

بعد خروج الشيخ من مدينة الأغواط سنة 1933م ابتُلِيَ بداءِ السّكّرِي، وقد حاول علاجَهُ غير مرّة في الجزائر وخارجها فسافر من أجلِهِ إلى فيشي بفرنسا[6]، لكن سرعان ما عاوده، كما وقع له عند سماعه خبر وفاةِ شيخِهِ ابنِ باديس رحمه الله في 16 أفريل 1940م، قال رحمه الله: ((عندما سمعتُ -لدى وصولي إلى قسنطينة- بموتهِ شعرتُ أنّ الدورة الدموية أصبحت تسيرُ عكسَ

---

(1) – وقد طبع تاريخ الميلي عدّة طبعات منها: طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، سنة 1406هـ-1986م، بتقديم ابنه محمد الميلي، وطبع طبعة ثانية بدار الكتاب العربي بالجزائر – دون ذكر التاريخ وعدد الطبعات-، في ثلاثة أجزاء (الجزء الثالث من تأليف ابنه محمد) بتقديم وتصحيح ابنه محمد الميلي.

(2) – "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" (13/1)، دار الكتاب العربي – الجزائر، د ط، سنة 2017م، تقديم وتصحيح: ابنه محمد الميلي.

(3) – "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" (1/11-12).

(4) – وقد طبع هذا الكتاب أيضًا عدة طبعات، منها: طبعة دار الراية بالسعودية، الطبعة الأولى سنة 1422هـ-2001م، تحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن محمود الجزائريّ.

(5) – قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمود في مقدمة "الآثار" (29/1): ((بالإضافة إلى عددٍ لا بأس به من "الرسائل الخاصة" التي كانت متداولة بينه وبين علماء وأدباء عصره من جهةٍ، وبينه وبين الشباب من تلاميذه وغيرهم من جهة أخرى))، ثم قال في الهامش: ((وقد كان الشيخ فرحات بن الدّراجي صاحب القدح المعلى في هذا الميدانِ، إذ تجمعت لديه من رسائل الشيخ مبارك حوالي مائتي رسالة))، وقد ذكر في موضعٍ آخر (16/1) عن هذه "الرسائل الخاصة": أنه بذل قصارى جهده للحصول عليها، واتصل ببعض المشايخ والأساتذة ووعدوه خيرا، لكن دون جدوى، وقال: ((فأهيب بمن عنده من هذه الرسائل أن لا يضنّ بها علينا، وأخصّ بالذكر: آل قُصيبة، وآل حاج عيسى الأغواطي، وآل أحمد توفيق المدني، وآل ابن ذياب، وآل الجيلالي، لنستدرك ذلك في طبعةٍ قادمةٍ إن شاء الله)).

(6) – وقد كتبَ عن هذِهِ الرّحلةِ في بعضِ مقَالَاتِهِ، ينظر: "الآثار" (2/647-678).

الابتجاهِ المعهودِ، وعرفتُ في الحين أنّ داء السكر قد عاودني وأنه لن يفارقني حتّى يقضي عليّ))[1].

ووقع ما توقّع رحمه الله فاشتدّ به المرضُ وانهارت صحّتهُ إلى أنْ وافاهُ الأجلُ يوم 25 صفر 1364هـ الموافق لـ 9 فيفري 1945م، وشُيّعت جنازتُهُ من الغد في ميلة بحضورِ آلاف عديدة وَرَدُوا من سائر الجهات، وأبّنه باسم العلماء الرئيس محمّد البشير الإبراهيمي، وباسم الهيئات الوطنية عباس فرحات زعيمُ حِزبِ البيانِ، ويوجد قبره البسيط بجانبِ شيخه الميلي بعيدًا عن كل أبّهةٍ كما هي السنة وكما هي إرادته ومذهبه، وكان عمره يوم وفاته حوالي 49 سنةً.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه في فسيح جنّاته.

المبحث الثاني: عناية الشيخ مبارك الميلي بالحديث النبوي وعلومهِ

المتأمّلُ في مجموعِ مقالاتِ الشّيخِ مُبارك الميلي رحمه الله يجد أنّ الشيخ اعتنى عناية كبيرة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمّا حثًا وترغيبًا، وإما شرحًا واستدلالًا، وإما تخريجا وعزوًا، وإما إشارةً إلى بعضِ القضايا الحديثية المهمّةِ، وسأحاول من خلالِ هذا المبحثِ –إن شاء الله– إبراز هذه العناية مع التدليل على ذلك بأمثلةٍ ونماذج.

3. 1. المطلب الأول: حثّه على العنايةِ بالحَديثِ النّبويّ وحرصُهُ علَى الاستدلالِ به.

يعدّ الحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلاميّ، فهو وحي كما أن القرآن وحيٌ، ولا غنى للقرآن عن الحديث النبوي إذ هو المبيّنُ لآيِ القرآنِ والشّارحِ لَهُ، ولهذا نجد أن الشيخ مبارك رحمه الله يحث على الاعتناء بالحديث النبوي، ويتّضح ذلك جليّا من خلالِ بعضِ أقوالِهِ:

يقول رحمه الله: ((ما ذاق حلاوة الدين من حُرِمَ النّظرَ في كتابِ اللهِ وأحاديثِ رسوله صلى الله عليه وسلم))[2]، ويقول أيضًا: ((هذه الديانة (أي الديانة الإسلامية) قائمةٌ على أصولٍ ثلاثةٍ: الاعتقاد والأحكام والأخلاق، والدستور الجامع لهذه الأصول: هو الكتابُ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ، وحديثُ من لا ينطقُ عن الهوى صلّى الله عليه وسلم))[3]، ويقول أيضًا –وهو يتحدّثُ عن منهجه في الاستدلالِ–: ((إنّما نحنُ أنَاسٌ نخضعُ للكتابِ الذي لَا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ولا من خلفهِ، وصحيحِ الأحاديثِ النبويةِ))[4].

وقال أيضًا –وهو يوجّهُ كلمةً إلى الكتّابِ الذين يكتُبُونَ في الصُّحُفِ الإصلَاحيّةِ–: ((والأسلوبُ الذي أرى أن تتّحِدَ عليهِ هُوَ توجيهُ الكتابةِ إلى العقائدِ والعباداتِ ببيانِ صحيحها وسقيمها، معتمدا في ذلك على القرآنِ: كلام ربّ العالمين، وصحيح السنة: حديث خاتم المرسلين، وعمل السّلفِ الصالح المشهود لهم بالخيرية وهمُ الصّحابةُ والتّابعونَ وتابعُ التّابعِينَ))[5].

---

(1) – نقله عنه ابن محمد الميلي كما في مقدمة "تاريخ الجزائر" (ص26-27) طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، د ط، سنة 1406هـ-1986م.

(2) – "الآثار" (265/1).

(3) – "الآثار" (50/1).

(4) – "الآثار" (88/1).

(5) – "الآثار" (205/1).

وقال في ردّهِ على بعضِ شيوخ الطرقية الذي يدّعي أن الاستدلال بالقرآن والحديث زندقة: ((وألّف الكاتبون منهم في ذلك الكتبَ، وساعدهم على نشرها – وهي خالية من الاستدلالِ بصريح الدينِ– ما بثّوه وأفتوا به من أن الاستدلال بالكتابِ والحديثِ اعتزالٌ وزندقةٌ أو ما حضر لديهم من العباراتِ، فيا لله لقومٍ استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير! **أليس الاستدلالُ بذلك يدلّ على مقدرةٍ وسَعةِ اطلاعٍ، ويزيدُ المستيقنَ يقينًا وثباتًا في دينه؟**))[1].

ولم يكن هذا الكلام من الشيخ الميلي رحمه الله مجردَ تنظيرٍ، بل كان يحرصُ علَى الاستدلَالِ بحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله واختياراته[2]، فيقول مثلًا في سياق استدلاله على مشروعية الوليمة للعرس: ((فقد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بها، والغرضُ منها إظهار النكاحِ والإحسانِ إلى الفقراء، وكانت في صدر الإسلامِ بسيطةً خاليةً من السّرفِ والتكلّفِ؛ ففي "صحيح البخاري"[3]: «**أنه صلى الله عليه وسلم أَوْلَمَ على صفيةَ بنتِ حُيَي وعلى زينبَ بنتِ جحشٍ من أمهاتِ المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين بتمرٍ وسمن وأَقِطٍ**»، وفيه[4]: «**أنه أَوْلَمَ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم عَلَى بَعضِ نسائِهِ بِمُدّينِ من شَعِيرٍ**»))[5].

وفي سياق تذكيره للمشتركين في صحيفة "البصائر" بما في ذمتهم لهذه الصحيفةِ، والإسراعِ في أداءِ دينهم قال: ((وتأخير الأداء مع القدرة عليه محظور؛ لحديث: «**مَطْلُ الغنِيّ ظلمٌ**» [6]))[7].

ويقول أيضًا –وهو يستدل على جواز الوعظ والتذكير في المقبرة–: ((وكلمة "البصائر" في هذا المقام: أنّ السنة في الجنازة حالَ السّيرِ هو السكوتُ، وأنّ الوعظَ والإرشاد والتذكير قبل ذلك أو بعده في المقبرة غير منكر؛ وفي "الصحيحين": أنه صلى الله عليه وسلم كان في جنازةٍ في بقيع الغرقدِ فذكر لأصحابهِ سبق الكتابِ بالشقاوة والسعادةِ، فقالوا له: أفلا نتّكل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلقَ له**»، ثم قرأ: ﴿**فأمّا من أعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى**﴾ إلى قوله: ﴿**فسنيسره للعسرى**﴾ (الليل/5-10)[8]، وهي قراءة على الأحياءِ للاتّعاظِ كما لَا يَخفَى))[9].

3. 2. المطلبُ الثاني: الوعظ بشرح بعضِ الأحاديثِ النبويةِ.

---

(1) – "الآثار" (48/1)، ينظر أيضًا: (126/1، 180).

(2) – ينظر أيضًا: (316/1-317) فقد استدل لمسألة (مصاحبة الخوف والرجاء لكمال العبادة) بأربعة أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(3) – كتاب النكاحِ، باب اتّخاذ السراري ومن أعتق جارية ثم تزوجها، (ص1070 رقم 5085)، دار الكتاب العربي– بيروت، د ط، سنة 1432هـ– 2011م، تحقيق وتخريج: أحمد زهوة، وأحمد عناية.

(4) – "صحيح البخاري"، كتاب النكاح، باب من أولم بأقلّ من شاةٍ، (ص1087 رقم 5172).

(5) – "الآثار" (367/1).

(6) – جزء من حديثٍ رواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب الحوالات، باب في الحوالةِ وهل يرجع في الحوالةِ، (ص451 رقم 2287)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على مليّ، (ص650 رقم 4002)، دار الكتاب العربي– بيروت، د ط، سنة 1432هـ– 2010م، تحقيق وتخريج: أحمد زهوة، وأحمد عناية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

(7) – "الآثار" (612/2)

(8) – رواه البخاري في "الصحيح"، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدّث عند القبر وقعودِ أصحابه حوله، (ص275 رقم 1362)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، (ص1091 رقم 6731) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا.

(9) – "الآثار" (803/3-804).

للشيخ الميلي –رحمة الله عليه– نشاطٌ دعويّ لا يُنكَر؛ فقد كان يطوف البلاد شرقًا وغربًا يلقي الدروس والمواعظ، ويُعَلّمُ الناسَ أحكامَ دينِهم، وقد كان يغتنم هذه المجالس الوعظيّةَ لشرحِ بعضِ الأحاديثِ النبويّةِ واستخلاصِ الأحكامِ والفوائدِ منها، وهذا يبرز بوضوحٍ مدى اعتنائه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه هو الركيزة الأساس في درسه ووعظه، يقول رحمه الله تحت سلسلةٍ من المقالات بعنوان: (تفقّد الشُّعبِ/ حياة الإصلاح في البلدان التي زرناها) وهي أربعةُ مَقَالَاتٍ ذَكَرَ فيهَا رِحلتَهُ الدعويةَ إلَى بعضِ البلدانِ وما قام فيهَا من نَشَاطٍ ودُرُوسٍ[1].

قال رحمه الله: ((... لما نزلنا بجيجل قابلنا بها رئيس الشعبةِ الشيخ محمد الطاهر مدير مدرستها وواعظ مسجدها... كان موعد إلقاء الدرسِ بعد صلاة العشاء، فلما دخلنا ألفينا المسجد غاصّا بالجالسينَ وأبوابَهُ مسدودةً بالواقفينَ، وكان موضوع حديثنا حديث: «**لا حسد إلا في اثنتين**... »[2]، وطال كلامنا عليه، فلم نر من الحاضرين إلا المزيد من الإصغاء والاستحسانِ...

قال أيضًا: ...ومن الشّقْفَةِ توجهنا إلى الميلية، ولما بلغنا قهوة بَرَمَة (بفتحاتٍ) أنزلنا أهلها، فاسترحنا بها....، بِتْنَا ليلة الجمعةِ بالميلية، وأسسنا بها الشُّعبةَ، وألقينا على الناسِ كلماتٍ في معنى حديث: «**اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى**»[3]....

وصباح يوم الجمعة توجهنا إلى القرارم فصلينا الجمعة بها، وألقينا الدرسَ بعد صلاة الجمعة في حديث: «**الدين النصيحة**» [4]....

ثم ذكر رحلته إلى مدينة العلمة فقال: ولما بلغنا العلمة نزلنا بمحل السيد المبروك الحفّاف...، وكان موعد الدرس بعد صلاة العصر بالمسجدِ فاجتمع الناس، وتكلمنا على حديثِ: «**من عادى لي وليّا**»[5]، وعرّفْنَاهُم بمعنى الوليّ والكرامة اللّتينِ يعتبرهما الدينُ، ويعترفُ بهمَا رجالُ "جمعيةِ العلماءِ المسلمينَ"..

ثم ذكر رحلته إلى شاطودان فقال: وألقينا الدرس في شاطودان بعد صلاة العصرِ في مسجدها الحرّ في حديث مسلم: «**من نفّس عن مؤمنٍ كربةً**»[6] الحديث بطولِهِ، وحضر الدرس من الناسِ ما دلّ على تمكّنِ الإصلاحِ في تلك الناحيةِ...)).

ومما لا حظته أيضًا من خلال قراءتي لمقالاته أنه يشرح بعضَ الأحاديث النبوية ويوجهها توجيها صحيحا، وينفي عنها التأويلات الباطلة، ومن أمثلة ذلك: قوله في شرح حديث النصيحة[7]: ((وملخص معناه: أن النصيحة لله: هي الرغبة في طاعته وتقديم حقّه

---

(1) – "الآثار" (1/400-419).

(2) – رواه البخاري في "الصحيح"، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلمِ والحكمةِ، (ص31، رقم 73)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلّمه، (ص316 رقم 1896) من حديث عبد اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعا.

(3) – رواه مسلم في "الصحيح"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل، (ص1117 رقم 6904) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(4) – رواه مسلم في "الصحيح"، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الدين النصيحة، (ص51 رقم 196) من حديث تميم الداريّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(5) – جزء من حديثٍ قدسيّ رواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب الرقاق، باب التواضع، (ص1322 رقم 6502) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(6) – جزء من حديث طويل رواه مسلم في "الصحيح"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ص1110 رقم 6853) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(7) – تقدّم تخريجه.

على حقّ الناسِ، ولكتابه: تعليمه والعمل بما فيه، ولرسوله: إحياء سنّته، ولأئمة المسلمين: حملهم على العدلِ وحملِ الرعيّة على طاعتهم في الحقّ، ولعامة المسلمين: إرشادهم وتعليمهم ما ينفعهم دنيا وأخرى، وأئمة المسلمين هم الخلفاء والأمراء، وفي معناهم: أئمة الاجتهاد، والنصيحة لهم ببثِّ معارفِهم وفضائلِهم وعدمِ اتّهامهم بالهوى في الدّينِ))[1]، وقال –وهو ينفي عن حديثٍ معنًى باطلًا مع التنبيه على المعنى الصحيح له–: ((ومن هذا القسم دعواهُ أن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الإحسان: «**أن تعبد الله كأنّك تراه**»[2] يدلّ على أنّ العبادة العالية ما كانت للذاتِ مجرّدة من رجاءِ الجنّةِ وخَوفِ النارِ، وأحالَ القارئَ على شرّاحِ هذا الحديثِ، والذي قاله شرّاح الحديثِ: أن فيه حثًّا على الإخلاصِ لله ومراقبته بإتمامِ الخضوع والخشوعِ، وذلك أنّ العبدَ إذا عمل أمام سيّده أحكم عمله وأتقنه رغبةً في رضاه وخوفًا من سخطه))[3]، وقال أيضًا: ((وقد عرّفنا نبينا عليه الصلاة والسلامُ أنّ حظّنا من الدنيا إنما هو حظّ الغريب أو المسافرِ، لقوله لابن عمر فيما رواه البخاريّ[4]: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ**»، وفهمُ هذا الإرشاد النبوي على وجهه: أن تعرفَ أنّ للمالِ ناحيتينِ؛ ناحية امتلاكٍ، وناحية استهلاكٍ، ففي حال الامتلاك حثّك على السعي ورغّبك في الكسبِ، وفي حال الاستهلاكِ زهّدك في تمتيعِ النفسِ بالممنوعِ، وفي الاسترسالِ في المباحِ المفضي إلى الغفلةِ عن الواجبِ النافعِ، ولهذا لا يذمّ الكتابُ العزيزُ الغنىَ إلا باعتبارِ نتائجه الضارّةَ، فقال: ﴿**كلّا إنّ الإنسانَ ليطغى * أن رآه استغنى**﴾ (العلق/6-7)))[5].

وقد كتبَ الميليّ مقالا تحت عنوان: "تجديد الدين الإسلامي"[6] شرح فيه حديث التجديد[7] شرحًا مفصّلا، يدلّ دلالة واضحة على تضلّعه في هذا الفن، أي: علم شرح الحديث، وقد جاء في ترجمة أحدِ تلامذته أنه كان يشرح لهم "صحيح البخاريّ" أيام كان في مدينة الأغواط[8].

---

(1) – "الآثار" (305/1).

(2) – جزء من حديث طويل رواه مسلم في "الصحيح"، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسانِ، (ص33 رقم 93) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا.

ورواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعةِ (ص24 رقم 50)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، (ص34 رقم 97) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(3) – "الآثار" (312/1-313).

(4) – في "الصحيح"، كتاب الرقاقِ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، (ص1307 رقم 6416) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(5) – "الآثار" (463/1).

(6) – "الآثار" (643/2-647).

(7) – وهو حديث: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأسِ كلّ مائة سنةٍ من يجدد لها دينها**»، رواه أبو داود في "السنن"، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرنِ المائةِ، (ص 639، رقم 4291)، مكتبة المعارف– الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وعلق عليه: الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن.

(8) – أشار إلى ذلك الدكتور مبروك زيد الخير في مقال له عن: "الشيخ أبي بكر الحاج عيسى ومنهجه التربوي الرشيد"، نشر في مجلة "البصائر" العدد (77) (ص12). [نقلا عن مقال بعنوان: "نابغة الأغواط العلامة الشيخ أبو بكر الحاج عيسى"، للدكتور سمير سمراد، نشر في مجلة الإصلاح، العدد (23)، (ص58)، سنة 1431هـ-2010م].

3. 3. المطلب الثالث: تخريجه للأحاديثِ وبيانُ درجتها.

والشيخ الميلي أثناء إيرادِهِ للحديثِ واستدلالِهِ به لا يكتفي بذكر المتنِ، بل يعزوه إلى مصادره الحديثية الأصلية، منبّها على الفروق المتنية إن وجدت، ومبيّنا حال الرواية من حيث الوقف والرفع، ناقلا عن بعضِ أئمة الحديث حكمهم على الحديثِ، وهي أمور لا تتم عملية التخريج إلا بها.

وقبل أن أذكر أمثلة من تخريج الشيخ الميلي لبعضِ الأحاديث والحكم عليها، أود أن أمهّد بكلمة جاءت تقديمًا[1] لمقال للشيخ رحمه الله بعنوان (المصلحون والسنة) فيها بيان عناية رجال "جمعية العلماء المسلمين" بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم لا يذكرون منه شيئًا إلا مع بيان مخرّجه ورتبته، جاء فيه: ((تقوم الدعوة الإصلاحية على أساسِ الكتابِ والسنةِ؛ فلا جرم كان رجالها من المعتنين بالسنة القائمين عليها رواية ودرايةً، والناشرين لها بين الناسِ، **ومن عنايتهم: تَحَرّيهِم فيمَا يستدلون به ويستندون إليه منها، فلا يجوز عليهم إلا ما يصلح للاستدلال والاستناد، ولا يذكرون منها شيئًا إلا مع بيان مخرّجهِ ورتبتهِ حتى يكون الواقف عليه على بيّنةٍ من أمرهِ**، مما لو التزمه كل عالمٍ –كما هو الواجب– لما راجت الموضوعاتُ والواهياتُ بينَ النّاسِ فأفسدَتْ عليهِم كثيرًا من العقائِدِ والأعمَالِ، ونحن نشر إثر هذا حوارًا دار بين مُصلِحَينِ يدلّ على ما ذكرناه في المصلِحِينَ منَ الاعتناءِ والتّحريرِ)).

وما سنذكره من أمثلةٍ توضح ذلك –إن شاء الله–:

قال الشيخ مبارك رحمه الله: ((إذا استدللنا بما كان عليه كبراؤهم، فذلك لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بذلك، ولم يأمرنا باتباع ما سنّه غيرهم، من حديثٍ عن العرباض بن سارية رواه الترمذي وصححه، ورواه غير الترمذيّ أيضًا: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين** ... »[2]))[3].

وقال أيضًا: ((وفي "الصحيحين" عن أنسٍ رضي الله عنه – واللفظ للبخاريّ– أنه قال: «جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألونَ عنْ عبادَةِ النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم فلمّا أخبروا كأنهم تقالّوها.... »[4]))[5].

وقال أيضًا: ((وفي "الموطأ" و"الصحيحين" –واللفظُ لمالكٍ–: أنّ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم سمع امرأة من الليلِ تصلي، فقال: «**من هذه؟**»[6]..."))[1].

---

(1) – قال جامع "الآثار" أبو عبد الرحمن محمود: ((ويغلبُ على ظني أنه من تحرير الشيخ ابن باديس كما لا يخفى)).

(2) – رواه أبو داود في "السنن"، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (ص691 رقم 4607)، والترمذيّ في "السنن"، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (ص603 رقم 2676)، مكتبة المعارف– الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وعلق عليه: الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن وقال الترمذيّ: ((هذا حديث حسنٌ صحيح)).

(3) – "الآثار" (90/1).

(4) – رواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاحِ، (ص1066 رقم 5063)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنةً، (ص557 رقم 3403).

(5) – "الآثار" (282/1).

(6) – رواه مالك في "الموطأ"، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الليل، (174/1 رقم 310) دار الغرب الإسلامي، ط 2، سنة 1417هـ–1997م، تحقيق: بشار عواد معروف، عن إسماعيل بن أبي حكيم بلاغًا، والبخاريّ في "الصحيح"، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في

وقال أيضًا: ((وقد جاء عن أبي هريرة موقوفًا عند البخاريّ، ومرفوعًا عندَ مُسلِمٍ: «**شرّ الطعامِ الوليمة، يدعى الغني ويترك الفقير**»[2]))[3].

وقال رحمه الله: ((عن أبي عمير بن أنس، عن عمومةٍ له من الأنصار رضي الله عنهم قالوا: «**غمّ علينا هلال شوّالٍ فأصبحنا صيامًا، فجاء ركبٌ من آخرِ النّهارِ، فشهدوا عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنهم رأوا الهلال بالأمسِ، فأمر الناسَ أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغدّ**»، رواه أحمد وأبو داود والنسائيّ وابن ماجه وابن حبّان في صحيحه، وصححه ابنُ المنذرِ وابنُ السّكنِ وابنُ حزمٍ والخطّابيُّ وابنُ حجرٍ في "بلوغ المرام"، قاله في "نيل الأوطار"[4]))[5].

وقال رحمه الله: ((أخرج أبو داود[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأسِ كل مِائةِ سنةٍ من يجدد لها دينها**»، قال العجلوني في "كشفِ الخفاء"[7]: (وأخرجه الطبراني في "الأوسطِ"[8] عنه أيضًا بسندٍ رجاله ثقاتٌ، وأخرجه الحاكم[9] من حديث ابن وهبٍ وصححه، وقد اعتمدَ الأئمّةُ هذا الحديثَ) ...))[10].

العبادة، (ص233 رقم 1151)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (ص308 رقم 785) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(1) – "الآثار" (283/1).

(2) – رواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، (ص1087 رقم 5177) موقوفًا، ورواه مسلم في "الصحيح"، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، (ص576 رقم 3521، 3523، 3524، 3525) موقوفا ومرفوعًا.

(3) – "الآثار" (369/1).

(4) – رواه أحمد في "المسند" (186/34 رقم 20579)، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط 1، سنة 1421هـ– 2001م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومعه مجموعة من الباحثين، وأبو داود في "السنن"، كتاب الصلاة، باب إذا لم يخرج الإمام للعيد من يومه يخرج من الغد، (ص180 رقم 1157)، والنسائيّ في "السنن"، كتاب صلاة العيدين، باب الخروج إلى العيدين من الغد، (ص257 رقم 1557)، وابن ماجه في "السنن"، كتاب الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال، (ص290 رقم 1653)، مكتبة المعارف– الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن، وابن حبّان في "الصحيح"، كتاب الصيام، باب رؤية الهلال، (237/8 رقم 3456)، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 1، سنة 1408هـ– 1988م، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط.

ينظر: "بلوغ المرام" لابن حجر (ص75)، دار ابن حزم بيروت، ط 1، سنة 1424هـ–2004م، و"نيل الأوطار" للشوكانيّ (98/7)، دار ابن الجوزي – السعودية، ط3، سنة 1434هـ، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلّاق.

(5) – "الآثار" (528/2).

(6) – سبق تخريجه.

(7) – (275/1 رقم 740)، مكتبة العلم الحديث، د ط، د ت، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد.

(8) – في "المعجم الأوسط" (323/6–324 رقم 6527)، دار الحرمين –القاهرة، ط 1، سنة 1415هـ– 1995م، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ.

(9) – في "المستدرك"، كتاب الفتن والملاحم، (567/4 رقم 8592)، دار الكتب العلمية– بيروت، د ط، د ت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

(10) – "الآثار" (643/2–644).

وقال رحمه الله: ((... ولخبر: «**الخيرُ بي**[1] **وفي أمتي إلى يوم القيامة**»، قال السّخاويّ[2]: ((لا أعرفه، ولكن معناه صحيح))[3]، وقال: ((وما يروى: «**من زار وليّا لله تعالى في أرضه فكأنما قاتل في سبيل الله حتّى تقطّع إربًا إربًا**»[4]، لا نصيبَ لهُ من الصّحةِ، بل مكذوبٌ كذبًا كَذِبًا))[5].

ويلاحظ أنّ بعض الأحاديث المرفوعة التي حكم عليها أئمة الحديث بالوضع أو الضعف ولها معنى صحيح، يوردها الشيخُ بصيغَةِ التّمريضِ ودون نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك قوله: ((وإذا كان ابنُ أدنَى الأدنياءِ لا يرضى أن ينسبَ لأعز عزيزٍ، ذلك طبيعة البشر حتى قيل: «**الناس مؤتمنون على أنسابهم**»))[6]، وهو حديث يروى مرفوعا ولا أصل له[7]، وقال أيضًا: ((وقد كان يمكننا أن نصفك بصفاء الصدرِ لو كان تحاملك خاصّا بشخصٍ نازعك في مادّة ارتزاقك، فقد قيل: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»))[8]، وهو حديث يروى مرفوعًا بإسنادٍ ضعيفٍ[9].

كما يجدر التنبيه هنا إلى حرصِ الشيخ الميلي رحمه الله على العزوِ إلى "الموطأ"، و"الصّحيحين"[10]، أمّا "الصحيحان" فلا يخفى منزلتهما بين دواوين السنة؛ فهما أصحّ الكتبِ بعد كتاب الله تعالى، وأمّا "موطأ الإمام مالك" فإضافة إلى كونه من أعظم كتبِ السنة التي جمعت بين دفتيها الأحاديثَ الصّحيحَةَ، فإنّ علماء المغرب الإسلاميّ لهم عناية خاصةٌ به؛ إذ هو أعظم المصادر في الفقه المالكيّ الذي هو المذهبُ السائدُ في هذهِ المنطقَةِ.

وأختم هذا المبحثَ ببيانِ طريقتِهِ التي سلكها في تخريج حديثٍ والحكمِ عليه كان قد سئل عن درجته من طرف الأستاذ الفضيل الورثلانيّ رحمه الله، قال رحمه الله: ((منذ يومين وقع بصري في خاتمة الجزء الأول من "الحاوي للفتاوي" – فتاوي السُّيُوطِيّ– على هذا الحديثِ: روى الحاكم في المستدرك وصححه[11]، والبيهقي في "شعبِ الإيمانِ"[12] عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تنزلوهنّ الغرفَ ولا تعلموهنّ الكتابةَ – يعني النساء– وعلّموهن الغزل وسورة النور**»، فذكرتُ أنك كنت

---

(1) – قال جامع آثاره: كذا في الأصلِ! وفي "المقاصدِ الحسنة": ((فِيَّ)).

(2) – "المقاصد الحسنة" (ص336-337 رقم 468)، دار الكتاب العربي – لبنان، ط 1، سنة 1405هـ-1985م، تحقيق ودراسة: محمد عثمان الخشت، وفيه: ((قال شيخنا: لا أعرفه، ولكن معناه صحيح)).

(3) – "الآثار" (646/2).

(4) – لم أقف على تخريجه.

(5) –"الآثار" (85/1).

(6) – "الآثار" (59/1).

(7) – ينظر: "المقاصد الحسنة" (ص 690 رقم 1239).

(8) – "الآثار" (210/1).

(9) – ينظر: "المقاصد الحسنة" (ص497 رقم 789).

(10) – ينظر أمثلة على ذلك: "الآثار" (282/1، 283، 284، 285، 305، 317، 320، 367، 369، 417، 455، 463)، (511/2، 643، 742)، (803/3).

(11) –كتاب التفسير/ تفسير سورة النور، (430/2 رقم 3494).

(12) – باب في تعظيم القرآن، ذكر سورة الحج وسورة النور في سور سواهما، (90/4 رقم 2227)، مكتبة الرشد– الرياض، ط 1، سنة 1423هـ-2003م، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.

سألتني فلم تجد عندي علمًا به، واليوم لما وقفتُ عليه ورأيتُ أنّ الحاكم صححه، ظهر لي أن أبحثَ عنه، فإنّ الحاكمَ على جلالته في علمِ الحديثِ لا يعوّل كثيرا في تصحيحِهِ حتى أن النقادَ قالوا: (لو لم يؤلف "المستدرك" لكَانَ خيرًا له).

طالعتُ فهرست كتاب "حسن الأسوةِ فيما ثبت من الله ورسوله في النسوةِ" لصديق خان، فلم أجد مبحَثًا يناسب هذا الحديث، وتتبعتُ خاتمته التي خصّها لذكر الأحكام الخاصةِ بالمرأة فلم أجد هذه المسألة، ورجعتُ إلى التفاسير؛ فوجدتُ البغويّ[1] قد روى آخر سورة النور هذا الحديث بسنده إلى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا شعيبُ بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، فذكره.

هنا رجعتُ إلى "ميزان الاعتدال" للحافظ الذهبيّ لأتعرف هل في هذا السندِ ضعفاء، فألفيته يذكر في ترجمة (محمد بن إبراهيم الشاميّ)[2] عن الدارقطنيّ أنه: كذابٌ، وعن ابن عدي: أنّ عامة أحاديثه غير محفوظةٍ، وعن ابن حبّان: أنه لا تحلّ الرواية عنه إلا عند الاعتبار، كان يضع الحديث، ثم خرّج[3] له أحاديثَ منها: حديثه عن شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، فذكره كما أورده السيوطيُّ إلّا قوله: (يعني النساء).

والظاهر أنّ الحاكم رواه من طريق هذا الشاميّ لأنه لو كان له متابع في هذا الحديث لم يورده الذهبي في ترجمته، ولم يصحّ قول ابن عدي: (أنّ عامة أحاديثه غير محفوظة)، ولو كان عندنا "المستدرك" لاسترحنا من هذا الخرص))[4].

ثم قال في مقال آخر له[5]: ((ولما بلغ "الشّهابُ" إلى الشيخ محمد نصيف بجدّة تفضل بنقل سندِ هذا الحديث من "المستدرك" وتلخيصه الذهبي، وهاك عبارته: "النهي عن تعليم الكتابة للنساء"، حدثنا أبو عليّ الحافظ، أنبأ محمد بن محمد بن سليمان، ثنا عبد الوهاب بن الضحاكِ، ثنا شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تنزلوهنّ الغرفَ ولا تعلمُوهُنّ الكتابة – يعني النساء– وعَلّمُوهُنّ المغزَلَ وسورةَ النّورِ**»، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى. "المستدرك" للحاكم.

عبد الوهاب بن الضحاك، ثنا شعيب بن إسحاق، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا: «**لا تنزلوهن الغرفَ ولا تعلموهنّ الكتابة وعلموهنّ المغزل وسورة النور**» صحيح.

قلتُ: بل موضوع، وآفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب. انتهى. الذهبي من "تلخيصه المستدرك". هذه العبارة التي نقلها الشّيخُ محمّد نَصِيف، ومنهَا يظهرُ أنّ الحاكمَ لم يروِهِ من طريقِ ذلك الشّاميّ، ولكن الذهبيّ بيّن أنّ الحديثَ من طريقِ عبدِ الوَهّابِ بنِ الضّحّاكِ موضُوعٌ أيضًا، فتبينّ أنّ الحديث موضوعٌ على كلّ حالٍ، ومن ادّعى تصحيحه فليأتنا بسندٍ غير هذا لنعلم حال رجاله)).

وأشير هنا إلى الشيخ مبارك رحمة الله عليه سلك في تخريجه للحديث طريقة التخريج عن طريق معرفةِ موضُوعِ الحديث، ولما كان

---

(1) – في تفسيره المسمّى بـ "معالم التنزيل" (68/6)، دار طيبة – الرياض (السعودية)، د ط، سنة 1409هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش.

(2) – "ميزان الاعتدال" (445/3-446)، دار المعرفة– بيروت، د ط، د ت، تحقيق: علي محمد البجاويّ.

(3) – أي: الذّهبيّ

(4) – "الآثار" (389/1-391).

(5) – "الآثار" (428/1-429).

الحديثُ موضوعُه عنِ النساءِ؛ فقد رجع إلى كتاب "حسن الأسوة بما ثبتَ من اللهِ ورسولِهِ في النّسوةِ"، وهذه الطريقة هي إحدى الطرق الخمسة التي سلكها أهل العلم في التخريج والوصول إلى الحديث في مصادره الأصلية[1].

3. 4. المطلب الرابع: الإشارة إلى بعضِ المباحث الحديثية المهمة.

وقد وقفتُ على أربعةِ مباحثَ من المباحثِ الحديثيةِ أشار إليها في مواضِعَ متفرّقةٍ من مقالاته، ذكرتها هنا مع إيراد بعضِ أقوال أئمة الحديثِ لإيضاحها وشرحها.

الفرع الأول: منزلة "مستدرك الحاكم" في ميزان أئمة النقد.

ولا شكّ أن هذا المبحث من القضايا الهامة التي أولاها أهل الحديث أهمية بالغة، واحتلت مساحة كبيرة من كُتُبِ عُلومِ الحديثِ، والشيخ الميلي رحمه الله لم يخرج عمّا سطره أئمة الحديث في كتبهم، يقول رحمه الله: ((الحاكم على جلالته في علم الحديث لا يعوّل كثيرا على تصحيحه، وأنّ النقاد قالوا: لو لم يؤلف "المستدرك" لكان خيرًا له))، ثم شرح قوله هذا معزّزا إياه بأقوال أئمة الحديث فقال: ((أمّا أنّ الحاكمَ ذُو جَلَالَةٍ في علمِ الحديثِ فهَذَا مَا لَا نِزاعَ فيهِ، وأمّا أنّ تصحِيحَهُ في "المستدركِ" لا يُعوّلُ عليهِ كثيرًا؛ فَلِأَنّ الحفّاظَ قد حكموا بأن فيه الضعيف والموضوع، قال السخاويّ في "الضوء اللامع" عند ترجمته لنفسهِ وذكر مروياته –وقد ذكر منها "مستدرك الحاكم"–: (وهو كثيرُ التّساهلِ بحيث أدرج في كتابه هذا الضعيف، بل والموضوع المَنَافِيَيْنِ لموضوع كتابه) (10/8)، وقال الذّهبيّ في ترجمةِ الحاكمِ منَ "الميزانِ": (إمامٌ صدُوقٌ، لكنه يصحح في "مستدركه" أحاديثَ سَاقطةً ويُكثرُ من ذلك، فما أدري هل خفيت عليه؟ فما هو بمن يجهل ذلك، وإن عَلِمَ فهِي خيانةٌ عظيمةٌ) (85/3)، وقال الذهبيّ أيضًا في ترجمته من "تذكرة الحفاظ": (ولا رَيبَ أنّ في "المستدرك" أحاديثَ كثيرةً ليست عَلَى شَرطِ الصّحّةِ، بل فيه أحاديثَ موضوعةً شانَ "المستدرك" بإخراجها فيه) (231/3).

وأما أنّ النقاد قالوا: (لو لم يؤلف "المستدرك" لكان خيرا له)، فهو ما تُفِيدُه العباراتُ السّابقةُ عن الذهبيّ والسخاويّ، وقد صرّح الذهبيّ بذلك في "تذكرته"، فقال بعدما تقدّم نقله عنه في ترجمة الحاكم: (وليته لم يصنّف "المستدرك"؛ فإنه غضّ من فضائلِهِ بسُوءِ تصرّفِهِ) (233/3)))[2].

وما ذكره الشيخ الميلي عن الحاكم وتساهله في التصحيح تكادُ تتفق عليه كلمة علماء الحديث[3]، لكن الذي أريد أن أزيده هنا ما ذكره العلماء منَ الاعتذار عن أبي عبد الله الحاكم رحمه الله؛ فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((والحاكم أجلّ قدرًا، وأعظمُ خَطَرًا، وأكبرُ ذكرًا من أن يذكر في الضعفاء، لكن قيل في الاعتذار عنه: إنه عند تصنيفه للمستدرك كان في أواخر عمره، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلةٌ في آخر عمره، ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب "الضعفاء" له، وقطع بترك الرواية عنهم ومنعَ من الاحتجاج بهم، ثمّ أخرج أحاديث بعضهم في "مستدركه" وصحّحَهَا، ومن ذلك: أنه أخرج حديثًا لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكان قد ذكره في "الضعفاء"، فقال: (إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعةً لا تخفى على من تأمّلَهَا من أهلِ الصّنعةِ أنّ

---

(1) – ينظر: "أصول التخريج ودراسة الأسانيد" لمحمود الطحان (ص95)، مكتبة المعارف – الرياض (السعودية)، ط 3، سنة 1417هـ– 1996م.

(2) – "الآثار" (426/1-428).

(3) – ينظر: "مقدمة ابن الصلاح" (ص22)، دار الفكر– سوريا، دار الفكر المعاصر – لبنان، ط 24، سنة 1440هـ–2019م، تحقيق وشرح: نور الدين عتر، و"تقريب النووي" (ص6)، دار الهدى – عين مليلة (الجزائر)، د ط، د ت، خدمة وتعليق: مصطفى ديب البغا، و"النكت على المقدمة" لابن حجر (297/1-304)، دار الإمام أحمد– القاهرة، ط2، سنة 1433هـ– 2012م، تحقيق ودراسة: ربيع بن هادي المدخليّ.

الحملَ فيهَا عليهِ)))[1].

وقال الحافظ السّخاويّ رحمه الله: ((إنّ السبب في إدخال الحاكم الموضوعات والضعيفات في "مستدركه" أنه صنّفه في أواخر عمرِه، وقد حصلت له غفلةٌ وتغيّر، أو أنه لم يتيسر له تحقيقه وتنقيحه، ويدل على ذلك أنّ تساهله في قدر الخمس الأول منه قليل جدّا بالنسبة لباقيه))[2].

الفرعُ الثّاني: مسألة اللحن في الحديث.

وهي من المباحثِ الحديثية المهمة التي تتعلق بصفةِ رواية الحديث وشرطِ أدائِه، قال الشيخ الميلي رحمه الله: ((اللحنُ كذبٌ على الرسولِ صلى الله عليه وسلم إذا كان في حديثه صلى الله عليه وسلم))[3]، أي أنه يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: «**من كذبَ عليّ متعمّدا فلْيتبوأ مقعده من النارِ**» [4].

وهذا ما ذكره أئمّةُ الحدِيثِ واللغةِ، مع تنبيههم على ضرورة اعتناء طالبِ الحديث باللغة العربية وعلومها، قال ابنُ الصلاحِ مشيرا إلى هذه المسألة في "مقدمته": ((ينبغي للمحدّث أن لا يروي حديثه بقراءة لحّانٍ أو مصحّفٍ، ثم روى بسنده عن الأصمعي أنه قال: (إن أخوفَ ما أخاف على طالبِ العلمِ إذا لم يعرف النحوَ أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار**» [5]؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحْنَ فيه كذبتَ عليه).

ثم قال ابنُ الصّلَاحِ: فحقّ على طالبِ الحديثِ أن يتعلم من النحوِ واللغةِ ما يتخلص به من شَيْنِ اللحنِ والتحريفِ ومعرّتهما، روينا عن شعبة قال: (من طلب الحديث ولم يبصر العربية فمثله مثل رجلٍ عليه برنس ليس له رأسٌ) أو كما قال، وعن حمّادِ بن سلمة قال: (مثل الذي يطلبُ الحديث ولا يعرف النحوَ مَثَلُ الحمارِ عليه مخلاةٌ لا شعير فيها)))[6].

الفرع الثالث: ردُّ حديثِ الكذّابِ ولو كان كذبُهُ في غيرِ الحديثِ.

وهذا من أسباب ردّ رواية الراوي، وذلك إذا عرف بالكذبِ في كلامه وإن لم يعرف عنه الكذب في الحديث النبوي، وهذا ما قرره الشيخ مبارك رحمه الله فقال: ((وردّ أئمة الحديث رواية من كذبَ ولو في غير ما عُلِمَ كذبه فيه))[7]، ويسمى هذا الراوي بـ (المتهم بالكذبِ)، قال ابنُ حجرٍ –وهو يذكر أسباب الطعن في الراوي وبعد أن ذكر كذب الراوي في الحديث النبويّ–: ((أو تهمته بذلك (أي بالكذبِ): بألا يروى ذلك الحديثَ إلّا من جهتِهِ ويكون مخالفًا للقواعدِ المعلومةِ، **وكذا من عرفَ بالكذبِ في كلامه وإن لم**

---

(1) – "لسان الميزان" (7/256-257)، ، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط 1، سنة 1423هـ-2002م، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سليمان بن عبد الفتاح أبو غدة.

(2) – "فتح المغيث" (1/64)، مكتبة دار المنهاج- السعودية، ط 4، سنة 1436هـ، دراسة وتحقيق: عبد الكريم الخضير، ومحمد بن عبد الله بن فهيد.

(3) – "الآثار" (2/736).

(4) – رواه البخاريّ في "الصحيح"، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (ص38-39 رقم 110)، ومسلم في مقدمة صحيحه، باب تغليظ الكذبِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ص16 رقم 4) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وهو حديث متواتر.

(5) – قال السخاويّ في "فتحِ المغيث" (3/143): ((ويتأكدُ الوعيدُ مع اختلالِ المعنى في اللحنِ والتصحيفِ)).

(6) – "مقدمة ابن الصلاح" (ص217-218).

(7) – "الآثار" (2/737).

يظهر منه وقوع ذلك في الحديثِ النّبويّ))[1].

وقد اصطلح أئمةُ الحديث على تسمية حديث المتهم بالكذبِ بـ (المتروك)، قال ابن حجر: ((والقسم الثاني من أقسامِ المردودِ: هو ما يكون بسبب تهمةِ الراوي بالكذبِ، وهو المتروك))[2].

الفرع الرابع: التفريق بين طريقة المحدثين والمؤرخين في نقدِ الأخبار.

فقد وقفتُ على نصّ في غاية الأهمية للشيخ مبارك الميلي رحمه الله يثبت فيه الفرق بين طريقة أئمة الحديث وطريقة المؤرخين في نقد الأخبار، فيقول: ((وحيثُ أنّ القضية دينية تاريخية[3] فلنا أن نسلك في نقد ذلك الدليل **طريقةَ المحدّثِينَ** رجالِ الدّينِ الذينَ يبحثون في السندِ أوّلا وعن المتنِ ثانيًا، وحينئذٍ نطالب صُوفِيّنَا[4] بتصحيح روايته سندًا ومتنًا، ولنا أن نسلكَ **طَرِيقَةَ المؤرّخِينَ** الذين يَبْحَثُونَ في المتنِ فقطّ))[5]، فأشار الشيخُ إلى حقيقةٍ علميّةٍ وهي أنّ نقد المحدثين للأخبار – لا سيما الأحاديث النبوية التي هي مصدر من مصادر التشريع– يكون للسندِ والمتنِ معًا، لا للسندِ وحده ولا للمتن وحده، وسأسوق نصّينِ عن إمامين من أئمة العلم والحديثِ –وهما الشافعي وابن أبي حاتم– لإثباتِ هذه الحقيقة:

يقول الشافعيّ رحمه الله: ((ولا يستدلّ على أكثر صدقِ الحديثِ وكذبِهِ إلا بصدقِ المخبر وكذبِهِ [وهذا هو نقد الإسنادِ]، إلا في الخاصّ القليل من الحديثِ، وذلك أن يستدل على الصدقِ والكذبِ فيه بأن يحدّثَ المحدّثُ ما لا يجوز أن يكون مثله، أو يخالفهُ ما هو أثبتُ وأكثرُ دلالاتٍ بالصدقِ منه [وهذا هو نقد المتن]))[6]، ويؤكد ابنُ أبي حاتم هذه الحقيقة فيقول: ((تعرفُ جودةُ الدينار بالقياس إلى غيرهِ فإن خالفه في الماء والصلابةِ علم أنه زجاجٌ، ويقاس **صحة الحديثِ بعدالة ناقليه، وأن يكون كلامًا يصلح أن يكون من كلامِ النبوةِ**))[7].

أما كونُ المؤرّخِينَ يتّجه نقدهم إلى المتن فقط، فهذا ما يوضحه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي فيقول[8]: يقوم المؤرخ بالخطواتِ التالية:

(1) يحاول أن يجمع كل الأصول التي يمكن التوصل إليها.

(2) بعد جمع الأصول يقوم بنقدها وتمحيصها لإثباتِ صحّتها.

ويقول أيضًا: وبعد التأكدِ من صحة نسبة الوثيقة وجمع المعلومات عن الظروفِ التي أحاطت بتدوين تلك الوثيقة من الناحيتينِ

---

(1) – "نزهة النظر" (ص88)، مطبعة الصباح – دمشق (سوريا)، ط 3، سنة 1421هـ– 2000م، حققه: نور الدين عتر.

(2) – "نزهة النظر" (ص91).

(3) – ويقصد بهذه القضية: تاريخ ظهور التصوف.

(4) – جاء هذا النص ضمن مقال يرد فيه على كاتبٍ صوفي، وقوله: (صوفيّنا) يقصد به هذا الكاتب المردود عليه.

(5) – "الآثار" (295/1).

(6) – "الرسالة" (ص399)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط 1، سنة 1358هـ–1940م، تحقيق: أحمد شاكر.

(7) – "تقدمة الجرح والتعديل" (ص351)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدرآباد الدكن، ط 1، د ت، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلميّ.

(8) – ينظر: "منهج النقد عند المحدثين"/ الباب الخامس: المقارنة بين مناهج نقد الحديث والتاريخ (ص91–102)، مكتبة الكوثر– السعودية، ط 3، سنة 1410هـ– 1990م.

الزمانية والمكانية يلجأ المؤرخ إلى عملية التحليل، وهنا يستعمل المؤرخون –أو على الأقل المفروض أن يستعملوا نوعين من النقد–:

1– النقد الباطني الإيجابي للتحقق من معنى الألفاظِ ومن قصد المؤلف بما كتبه (وقد نقل الأعظميُّ عن الأستاذ حسن عثمان تعريف النقد الباطني الإيجابيّ: عبارة عن تحليل الأصل التاريخي بقصدِ تفسيره وإدراك معناه).

2– النقد الباطنيّ السلبيّ لإثباتِ صحةِ المعلوماتِ المدونة (وهي عبارة عن مجموعةٍ من الاستفسارات التي يجب على المؤرخ أن يُجريهَا على كاتبِ الأصلِ كمعرفة ما هو غرضُ المؤلفِ من تدوين الأصل التاريخي كوحدةٍ عامة، وماذا يمكن أن يكون هدفه من تدوين جزئياته المعينة، وما مصلحته الشخصية إن كانت له مصلحة، إلى غير ذلك من الأسئلةِ والاستفساراتِ).

وواضح جدّا مما تقدّم نقله أن النقد بنوعيه عند المؤرخين ينصبّ على المتن وحده ولا علاقة له بالإسنادِ، ثمّ يقول الأعظميُّ – بعد أن بيّنَ أنّ منهجَ المحدثين مبنيٌّ على الصدقِ والعدالةِ والتدينِ والتعقل والتيقظ والنزاهة وهي شروطٌ يجب توافرها في النقلة والرواة–: خلافًا للمؤرخ لأن أقصى ما يرجوه أن يكون صاحبُ الوثيقة صادقًا وعادلا في كتابة وثيقته، ثم لا يهمه إن كان يكذب في أمورٍ أخرى أم لا ؟ إضافة إلى ذلك قلّما يجد المؤرخ المراجعَ التي تمكنه من معرفةِ مؤلف الوثيقةِ ومدى صدقه وعدالته، خلافًا لما هو موجود عند المحدثين فبالرغمِ من ضياعِ كثير من كتبِ التراجمِ، نحن نستطيع حتى الآن الحكم على كافة الرواة تقريبًا، كما أننا نعرف أسرهم وولادتهم ووفياتهم وسلوكهم وشهادات العلماء فيهم، وهذا العنصر يكاد يكون مفقودًا بالتمامِ والكمالِ عند المؤرّخ.

خاتمة:

بعدَ هذه الجولة السريعة مع الشيخ مبارك الميلي والتي سُلّطَ فيهَا الضّوء على جانب من جوانبه العلمية التي كان يتمتع بها والمتمثلة في عنايته بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمكن أن نستخلصَ أهم النتائج التي أظهرتها هذه الدراسة:

1– من طالع كتب الشيخ الميلي وما خلّفه من آثارٍ ومقالاتٍ لا يخالجه شكٌّ أنه: عالمٌ، فقيه، أديب، مؤرّخ – رغم قصرِ سِنّه– وقد شهد له بذلك أقرانه وتلاميذه.

2– لا تقوم الدعوة الإصلاحية ولا تنجح إلا بالاعتماد على الوحيين: كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا غرابة أن نجدَ الشيخ الميلي رحمه الله –وهو أحدُ رجالاتِ الإصلاح– ينهل من مشكاة النبوة في سبيل الدعوة والإصلاح، ويعتني عنايةً بالغةً بحديثِ رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم وعلومِهِ المتصلة به.

3– تعدّدت جوانب عناية الشيخ الميلي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنجده يحث على العناية به والاعتماد عليه في الدعوة والإصلاح، كما يحرصُ على الاستدلال به وشرحه ووعظ الناسِ به، وتخريجه وعزوه إلى مصادره مع بيان درجته؛ حرصًا على الصحيح الثابت من الحديث النبويّ، كما أنه يشير إلى بعضِ القضايا الحديثية الهامّةِ.

4– كان جلّ اعتمادِهِ في استدلالِهِ ووعظِهِ علَى أحاديثِ "الصحيحينِ" و"الموطأ"، وهذا يعكسُ مدى اهتمامِهِ بالثابتِ من حديثِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم كما أنه إذا أورد أحاديثَ ضعيفةٍ أشار ذلك من باب الأمانة العلميةِ.

5– عنايته بفنّ التخريج ظاهرةٌ جدّا؛ وذلك من خلالِ تقديمِهِ في الذكرِ المصادرَ المشهورةَ والمعتنيةَ بالصحةِ على غيرها، وتنبيهِهِ

على الفروقِ المتنيةِ واختلافِ الألفاظِ، وبيانِهِ حالِ الروايةِ من حيثُ الوقفُ والرفعُ، ونقلِه عن بعضِ المحدّثينَ حكمَهُم على الحديثِ.

6- من بين القضايا التي أشار إليها الشيخ الميليّ -وهي من الأهمية بمكان-: أنّ النقد عند المحدثين يتناول السند والمتنَ معًا، وهذا فيه ردّ على شبهة المستشرقين ومن تأثر بهم من المستغربين أن المحدثين ينقدون الإسناد فقط ولا يلتفتون إلى المتنِ إطلاقًا.

ومن خلال ما تقدّم أوصي إخواني طلاب العلم -ولا سيّما الجزائريين منهم- أن يهتموا بتراثِ هذا الإمام العلم قراءة ونشرًا، كما أنني لاحظتُ عناية الشيخ الميلي باللغة العربية وعلومها فيمكن لبعضِ الطلبة النبهاء أن يعتنوا بإبراز هذا الجانب في رسالةٍ علمية أو على الأقل في مقال علميّ.

والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

- **آثار الشيخ مبارك الميلي**، دار الرشيد – الجزائر، ط 1، سنة 1436هـ-2015م، جمعها ورتّبها وعلّق عليها وخرّج أخبارها: أبو عبد الرحمن محمود.

- **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، محمد الطحّان، مكتبة المعارف – الرياض (السعودية)، ط 3، سنة 1417هـ- 1996م.

- **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، دار ابن حزم – بيروت، ط 1، سنة 1424هـ-2004م.

- **تاريخ الجزائر الثقافي**، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط 1، سنة 1998م.

- **تاريخُ الجزائرِ في القديم والحديثِ**، مبارك بن محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، د ط، سنة 1406هـ-1986م، بتقديم: ابنه محمد الميليّ.

- **تاريخُ الجزائرِ في القديم والحديثِ**، مبارك بن محمد الميلي، دار الكتاب العربي – الجزائر، د ط، سنة 2017م، تقديم وتصحيح: ابنه محمد الميليّ.

- **التقريب في علوم الحديث**، يحي بن شرف النّوويّ، دار الهدى – عين مليلة (الجزائر)، د ط، د ت، خدمة وتعليق: مصطفى ديب البغا.

- **الجَرحُ والتّعدِيلُ**، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد الدكن، ط 1، د ت، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلميّ.

- **رسالةُ الشركِ ومظاهِرِه**، مبارك بن محمد الميليّ، دار الراية – السعودية، ط 1، سنة 1422هـ-2001م، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود.

- **الرّسالة**، محمد بن إدريس الشافعيّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط 1، سنة 1358هـ-1940م، تحقيق: أحمد شاكر.

- **السنن**، محمد بن يزيد القزويني الشهير بـ: ابن ماجه، مكتبة المعارف- الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد

ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن.

– **السنن**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانيّ، مكتبة المعارف– الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن.

– **السنن**، محمد بن عيسى الترمذيّ، مكتبة المعارف– الرياض، ط 1، د ت، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن.

– **السنن**، أحمد بن شعيب النّسائيّ، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط 1، سنة 1421هـ– 2001م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومعه مجموعة من الباحثين.

– **شُعَبُ الإِيمَانِ**، أحمد بن حسين البيهقيّ، مكتبة الرشد– الرياض، ط 1، سنة 1423هـ– 2003م، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.

– **الصّحيح**، محمد بن إسماعيل البخاريّ، دار الكتاب العربي– بيروت، د ط، سنة 1432هـ– 2011م، تحقيق وتخريج: أحمد زهوة، وأحمد عناية.

– **الصّحيح**، مسلم بن حجاج النيسابوريّ، دار الكتاب العربي– بيروت، د ط، سنة 1432هـ– 2010م، تحقيق وتخريج: أحمد زهوة، وأحمد عناية.

– **الصّحيح**، محمد بن حبان البستيّ، مع الإحسان لعلي بن بلبان الفارسي (ت: 739هـ)، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 1، سنة 1408هـ– 1988م، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط.

– **صراعٌ بينَ السّنةِ والبدعَةِ**، أحمد حمّاني، دار البعث – قسنطينة (الجزائر)، ط 1، سنة 1405هـ–1984م.

– **علوم الحديث** (المقدمة)، ابن الصلاح، دار الفكر– سوريا، دار الفكر المعاصر – لبنان، ط 24، سنة 1440هـ–2019م، تحقيق وشرح: نور الدين عتر.

– **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، محمد بن عبد الرحمن السّخاويّ، مكتبة دار المنهاج– السعودية، ط 4، سنة 1436هـ، دراسة وتحقيق: عبد الكريم الخضير، ومحمد بن عبد الله بن فهيد.

– **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العجلونيّ، مكتبة العلم الحديث، د ط، د ت، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد.

– **لِسانُ المِيزانِ**، أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط 1، سنة 1423هـ– 2002م، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سليمان بن عبد الفتاح أبو غدة.

– **المستدركُ على الصّحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ)، وبهامشه: تلخيص المستدرك للذهبيّ، دار الكتب العلمية– بيروت، د ط، د ت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

– **المسند**، أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، ومعه: زوائد ابنه عبد الله (ت: 290هـ) على المسندِ، مؤسسة الرسالة – لبنان، ط 1، سنة

1421هـ- 2001م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومعه مجموعة من الباحثين.

- **معالم التنزيل** (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغويّ، دار طيبة – الرياض (السعودية)، د ط، سنة 1409هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش.

- **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية – لبنان، ط 2، سنة 1400هـ-1980م.

- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، دار الحرمين –القاهرة، ط 1، سنة 1415هـ- 1995م، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ.

- **المقاصد الحسنةُ في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، محمد بن عبد الرحمن السخاويّ، دار الكتاب العربي – لبنان، ط 1، سنة 1405هـ-1985م، تحقيق ودراسة: محمد عثمان الخشت.

- **منهجُ النّقدِ عند المحدّثينَ**، محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر- السعودية، ط 3، سنة 1410هـ- 1990م.

- **الموطأ** – برواية يحي بن يحي الليثيّ (ت: 244هـ)، مالك بن أنس (ت: 179هـ)، دار الغرب الإسلامي، ط 2، سنة 1417هـ-1997م، تحقيق: بشار عواد معروف.

- **مِيزَانُ الاعتِدَالِ فِي نَقدِ الرّجَالِ**، أحمد بن محمد الذّهبيّ، دار المعرفة- بيروت، د ط، د ت، تحقيق: علي محمد البجاويّ.

- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، مطبعة الصباح – دمشق (سوريا)، ط 3، سنة 1421هـ- 2000م، حققه: نور الدين عتر.

- **النّكَتُ عَلَى كِتَابِ ابنِ الصّلَاحِ**، أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، دار الإمام أحمد- القاهرة، ط2، سنة 1433هـ- 2012م، تحقيق ودراسة: ربيع بن هادي المدخليّ.

- **نيل الأوطار من أسرارِ منتقى الأخبار**، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن الجوزي – السعودية، ط3، سنة 1434هـ، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلّاق.

المجلّات:

- **مجلة الإصلاح**، مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع – الجزائر، العدد 23.